مجلة
مجمع اللغة العربية

الجزء العاشر

مطبعة التحرير
١٩٥٨

صيغ الاسم الثلاثى المجرّد

للأستاذ الدكتور ابراهيم أنيس المقرر بالمجمع

عرض أستاذنا السيد فريد أبو حديد على مؤتمر المجمع فى العام الماضى ملخصا للبحث الذى اشتركنا فى القيام به للجنة اللهجات وهو « بحث جموع التكسير للاسم الثلاثى » .

وقد بدا لنا ـ بعد هذا ـ أن نستكمل البحث بالرجوع إلى صيغ المفرد للاسم الثلاثى المجرد واستقرائها فى القرآن الكريم والقاموس المحيط للفيروزبادى ، رجاء الاهتداء بها فيما نحن بصدده من بحث طرق تكسيرها .

رأى النحاة فى صيغ الاسم الثلاثى :

لجأ النحاة كعادتهم إلى القسمة العقلية وتصوروا للاسم الثلاثى المجرد اثنتى عشرة صيغة . رفضوا منها صيغتين فقط هما :

١ ـ « فعل » بضم فكسر مثل دئل اسم لدويبة . وذلك لأن هذا الوزن فى رأيهم قد قصد تخصيصه بالفعل المبنى للمجهول . ولكن يروى عن الليث أن « الوُعِل » لغة فى « الوَعِل » ، كما روى عنه كلمة « الرُئِم » .

٢ ـ « فعل » بكسر فضم . واعتبروا قراءة بعضهم « والسماء ذات الحِبُك » ـ على شذوذها ـ من تداخل اللغتين فى جزأى الكلمة .

ولكن من النحاة من أنكر فكرة تداخل اللغات هنا قائلا إن « حبك » بضمتين جمع حباك ، فى حين أن « حبك » بكسرتين مفرد ، ويبعد تركيب الاسم من مفرد وجمع .

ومنهم من اعتبر كسرة الحاء فى مثل هذه القراءة إتباعا لكسرة التاء فى « ذات » .

وهم فى كلتا الصيغتين المرفوضتين يعزون عدم ورود هذا فى صيغ الاسم الثلاثى لثقل الانتقال من الكسر إلى الضم أو العكس . بل يقررون أن الانتقال من الكسر إلى الضم أثقل من الانتقال من الضم إلى الكسر .

أما فيما يتعلق بالصيغ العشر الأخرى فلا نكاد نلمح فى كلام النحاة ما يشم منه أن بعضها أكثر شيوعا فى اللغة من البعض الآخر ، إلا فى تلك الإشارة العابرة لسيبويه حين يشير إلى أن مثل « كتِف » أقل من مثل « فرَس » بكثير وأن مثل « عِنَب » أقل من « كتف » . ثم نراه يسوّى بين وزن « عضد » و « أنق » فى نسبة الشيوع ، ويعتبر وزن « صرد » بضم ففتح قليلا جدا ، ووزن « إبل » نادرا جدا ، بل يقرر أنه لم يرد

غير « إبل » فى كل اللغة . ولكن المتأخرين من النحاة يسوقون من هذا الوزن كلمات أخرى مثل « بلز » أى ضخم و « حبر » لصفرة الأسنان و « إبط » و « إطل » .. الخ

على أن سيبويه نفسه لم يعقد لصيغ الاسم الثلاثى بابا مستقلا ، بل اكتفى بالإشارة إليها حين عرض لجمعها جمع تكسير .

ولا نكاد نرى الصرفيين يتحدثون عن أصالة الصيغة إلا حين يكون للكلمة أكثر من نطق . فيقولون إن مثل « فَخِذ » هى الصورة الأصلية ثم تطورت إلى فَخْذ أو فِخْذ أو فِخِذ . ويعتبرون الصورة الأخيرة خاصة بالاسم الحلقى العين . أما مثل « كتف » فلا يجوز فيها سوى كَتْف وكِتْف .

وهم يلتمسون فى تفسير هذا التطور عللا لا تخلو من التكلف والتعسف . ويظهر أنهم تصوروا أن الأصل فى كل هذه الكلمات تحرك العين فيها . وقد بنوا هذه الأصالة فى بعض الكلمات على شهرة الوزن وشيوعه . فكلمة « فخذ » بفتح فكسر أشهر منها بفتح فسكون أو كسر فسكون ومع هذا فحين تصادفهم كلمات مثل « عسر » و « يسر » و « قفل » ويرونها بالسكون أكثر شيوعا وشهرة منها بضم العين ، يقولون إن عدم شهرة الصيغة الأصلية هنا وهى « عسر » و « يسر » لا سبب له سوى زيادة الثقل فى توالى الضمتين ، فدعا هذا إلى قلة استعمالها مع كونها أصلا .

ثم نرى فكرتهم فى الأصالة والفرعية تزداد اضطرابا حين يؤكد لنا الأخفش أن كل « فعل » بضم فسكون يجوز ضم عينه إلا ما كان صفة أو معتل العين . وحين يؤكد لنا عيسى بن عمر أن كل فعل « بضمتين » يجوز تخفيفه بالإسكان . وحين يقول لنا البصريون إن « الشَعْر » و « الشَعَر » لغتان مستقلتان . ويقول الكوفيون إن الأصل فيهما « فعل » بفتح فسكون وإن مثل هذه الصيغة يجوز فتح عينها إذا كانت العين من حروف الحلق ؛ وجعلوا هذا قياسيا .

وينسب النحاة كل هذه الفروع إلى تميم فيقولون : « وجميع هذه التفريعات لتميم . وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون » .

وهكذا نرى النحاة يتخذون من شهرة الصيغة دليلا على أصالتها ، ويجعلون تحرك العين فى الكلمة هو الأصل ؛ ثم لا يستقيم لهم هذا حين يطبقونه على مثل « فَخِذ » و « عُسْر » . كأنراهم يقتصرون فى فكرة الأصالة أو الفرعية على تلك الكلمات التى ورد لها أكثر من وجه .

نسبة شيوع الصيغ :

ونحن أمام هذا الاضطراب والغموض اتجهنا إلى إعادة الاستقراء ، فرجعنا إلى القرآن الكريم واستقرأنا ما ورد فيه من الأسماء الثلاثية

فرأينا أن نسبة شيوعها تختلف اختلافا بينا . فأكثرها شيوعا هى « فعل » بفتح فسكون، إذ ورد منها فى القرآن نحو ٢٣٠ كلمة ، ثم صيغة « فعل » بفتحتين ، فقد ورد لها نحو ٩٧ كلمة . ثم «فعل» بكسر فسكون وعدد كلماتها القرآنية نحو ٥٩ . ثم « فعل » بضم فسكون وكلماتها نحو ٣٧ . ثم «فعل» بضمتين وكلماتها نحو ١٧ كلمة .

أما باقى الصيغ فنادرة جدا تكاد تنحصر فى الكلمات الآتية :

رجل . عضد . سبع . ملك . كذب . لعب . عنب . إبل .

وهكذا نرى أن النسب المئوية لهذه الصيغ القرآنية هى :

فَعْل ٥١٪ فِعْل ٢٢٪ فُعْل ١٣٪ فَعَل ٩٪

ولم يبق لكل الأوزان الأخرى سوى نسبة ٥ ٪

وهذه نسب قريبة جدا من تلك التى وصلنا إليها باستقراء القاموس المحيط مستعينين ببعض طلبة الليسانس فى كلية دار العلوم . فقد جمعوا لنا من هذا المعجم نحو أربعة آلاف كلمة موزعة على حسب النسب الآتية :

فَعْل ٤٨ ٪ فَعَل ٢١ ٪ فِعْل ١٣ ٪ فُعْل ١١ ٪

ثم لا نكاد نرى الأوزان الستة الأخرى مجتمعة ما يجاوز نسبة ٧ ٪

نشأة الاسم الثلاثى فى اللغات السامية :

نشأة الاسم الثلاثى وصيغه فى اللغات السامية ، يعتورها بعض الغموض . على أنه بمقارنة بعض هذه اللغات يمكننا أن نفترض لها فرضا معقولا مقبولا تؤيده الكلمات الثلاثية المشتركة بين بعض هذه اللغات السامية ، كما يؤيده سلوك هذه الكلمات فى تراكيب كل لغة واشتقاقها . وقد اكتفينا هنا بمقارنة العربية والعبرية والسريانية . وجمعنا نحو ٩٠ كلمة ثلاثية مشتركة فى اللفظ والمعنى بين العربية والعبرية . وبين هذه الكلمات التسعين نحو ٣١ كلمة لها نظائر فى لفظها ومعناها فى اللغة السريانية أيضا .

وقد اتضح لنا من عقد هذه المقارنة أن اللغة السامية الأولى قد تميز فيها أربع صيغ للاسم الثلاثى هى :

« فعل » بفتح فسكون ، «فعل» بفتحتين ، « فعل » بكسر فسكون ، « فعل » بضم فسكون .

وقد ورثت معظم اللغات السامية التى نعرفها هذه الظاهرة واحتفظت بها زمنا ما ، ثم تطورت فى بعضها على صور أخرى ؛ ولكنها ظلت ملتزمة إلى حد كبير فى العربية والعبرية . أما السريانية التى تعد من أحدث اللغات السامية

فقد استقر فيها الاسم الثلاثى على صورتين فقط فيهما العين ساكنة . وفى إحداهما فتحت فاء الكلمة وهى الكثيرة الشيوع ، وفى الأخرى كسرت فاؤها مثل :

ثوب نفس ؛ كلا رجل

ويكاد يجمع المستشرقون على اعتبار الصيغة العربية بمثابة الأصل ، منها يبدأون مقارنتهم ويفسرون الصيغ التى ترد فى الساميات الأخرى على أساسها . فهم مثلا يرجحون أن الصيغة الأصلية « فعل » بفتح فسكون ، قد حركت عينها أولا بحركة تشبه الكسرة أو الفتحة الممالة وهى التى تسمى فى العبرية بـ « السيجول » وذلك بسبب التخلص من التقاء الساكنين . ثم تأثرت حركة فاء الكلمة بحركة عينها وأصبحت مثلها مشكلة بالسيجول تبعا لظاهرة الانسجام بين حركات الكلمة الواحدة Vowel-harmony ، تلك الظاهرة التى شاعت فى تطور الصيغ والأوزان فى معظم اللغات السامية . وهكذا نشأت تلك الكلمات السيجولية فى اللغة العبرية مثل :

אֶרֶץ أرض . כֶּלֶב كلب

والدليل على أن أصل هذه الكلمات هو وزن « فَعْل » أننا نجد الكثرة الغالبة منها تعود إلى أصلها فى بعض حالات الإضافة مثل :

דְּבַר־ דְּבָרְךָ

أما وزن « فعل » بضم فسكون و « فعل » بكسر فسكون فيظهر أنهما نوع واحد أو طائفة واحدة . وذلك للعلاقة الصوتية بين الضم والكسر . وقد دلت روايات اللهجات العربية القديمة على أن هاتين الحركتين قد تعتوران المكان الواحد من الكلمة مثل :

الرجز ، رُشاح . سخريا . منذ . مشط .

فاللهجات السامية بوجه عام لا تكاد تفصل بين هذه الكلمات ، بل تعاملها معاملة واحدة وتتخذ منها طائفة واحدة ذات سلوك واحد فى كثير من الظواهر اللغوية . ولهذا وردت لنا بعض الكلمات المتناظرة بين العربية والعبرية على هذا النحو :

חֹלֶם حُلْم . חֹמֶץ حِمْض

وقد تركت لنا هذه الظاهرة أثرها الواضح فى مجىء أفعال كثيرة من بابى : ضرب ونصر ، فى اللغة العربية ، بل وفى كلمات اللهجات الحديثة مثل :

ثُقل = ثِقل . حِضن = حُضن .

عِقد = عُقد . فُجل = فِجل

وكنطق العامة فى اللهجات : زُهُق . زِهِق . صُغُر . صِغير .

وأخيرا هناك طائفة مستقلة من الأسماء الثلاثية تميزت وحدها منذ القدم وظهر استقلالها حين تضاف إلى الضمائر فى اللغة العبرية كما ظهر

استقلالها فى جمعها جمع تكسير فى اللغتين العربية والحبشية وتلك الطائفة هى « فعل » بفتحتين .

فيقال فى العبرية זַנָב ذنبه . ويقال فى العربية « أذناب » وفى الحبشية « أزناب » .

ولم يشذ من تلك الكلمات التسعين المتناظرة بين العربية والعبرية سوى بضع كلمات يمكن تفسيرها . وأكتفى هنا منها بذكر كلمة רֶגֶל التى تناظر فى العربية « رِجْل » والتى وردت فى النصوص العبرية القديمة مضافة إلى الضمائر اى רַגְלִי ، רַגְלְךָ ، רַגְלוֹ فقد كنا نتوقع أن تكون الكلمة العربية بفتح الراء .

ويظهر أن الأصل فيها هو هذا الضبط أى « رَجِل » . ومن هذا الأصل اشتقت كلمة « رِجْل » التى اختصت بها اللغة العربية دون سواها من الساميات الأخرى . فالكلمة القديمة « إنسان وإنس » قد تخصص معناها فى العبرية وأصبحت تعنى « الرجُل » فى صورة אִישׁ ولكن العربية فيما يظهر قد ربطت بين معنى الرجولة وبين القدرة على المشى على رجلين واقتبست عن طريق المجاز كلمة « الرَجُل » لتفيد معنى « الرجُل » فى وقت كانت فيه الصيغة الأصلية على وزن « فعل » بفتح فسكون أى « رَجْل » ثم كانت المخالفة بين الصيغتين خشية اللبس بين المعنيين . وخير دليل على أن الصيغة الأصلية كانت بفتح فسكون هو ما نراه فى معاجمنا من أن كلمة « الرجُل » يجوز أن ينطق بها « الرجْل » وأن « الرجْل » هو الراجل أيضا ومؤنثه « رجلة » . أما كيف ضمت الجيم فهذا أمر آخر سنعرض له فيما بعد .

الأسماء الثلاثية فى اللهجات الحديثة :

وقد رأينا قبل ترجيح رأى فى شأن هذه الأسماء الثلاثية أن نتتبع أشهرها فى اللهجات العربية الحديثة . فعرضنا على نحو ألف من الناطقين بها (معظمهم من المصريين) مجموعة من أشهر الكلمات المشتركة فيها جميعا (نحو ١١٠ كلمة) . وعنينا فى هذا الاستفتاء بنواحى القطر المصرى . فاتضحت لنا ظواهر تستحق النظر والدراسة ، منها :

١ — أن الأسماء الثلاثية التى على وزن « فعل » بفتحتين لا تكاد تختلف فى نطق الأمم العربية جميعا فيما عدا مراكش التى يكتفى فيها بتحريك عين الكلمة فى كثير من الأحيان فيقولون مثلا : قَمَر .

ويدل هذا على أن هذه الطائفة من الأسماء قد روعى استقلالها وتميزها فى العصور القديمة . وظلت متميزة حتى الآن فى لهجات الناس .

٢ — أما تلك الكلمات الثلاثية التى سكنت عينها فهى التى اختلفت فيها اللهجات الحديثة فبعض اللهجات تميل إلى تحريك العين فى حالة الوقف مثل بُرُج تِبِن بَطِن وَقُبر وَبحَر .

والبعض الآخر تبقى على سكونها .

وقد تبين لنا من الاستقراء أن لهجات القطر المصرى بوجه عام تميل إلى تسكين عين الكلمة . غير أنه فى مديرية الشرقية : جهة أبى حماد ونواحى إنشاص وحدود الزقازيق ، قد نجد ظاهرة تحريك العين فيقولون مثلا : بَطِن . تِبِن . رُبُع . . الخ . وفى أسيوط نلحظ فى بعض جهاتها أثر تحريك العين ثم يزيد أثر تحريك عين الكلمة كلما تعمقنا فى الوجه القبلى حتى نرى جهات مثل كيمان المطاعنة فى إسنا ، والكرنك فى نجع حمادى يلتزمون هذا التحريك .

وإذا كان لنا أن نحكم على الأمم العربية الأخرى بهذا الاستقراء - على ما به من نقص - نلحظ أن العراق أميل بوجه عام إلى الإسكان ، وكذلك لبنان وسوريا وطرابلس الغرب واليمن . وأوضح البلاد فى تحريك العين شرق الأردن وفلسطين والسودان ونجد .

وعلى كل حال يتبين لنا من كثرة اللهجات التى تحرك عين الكلمة وانتشارها فى جهات متباعدة أن ظاهرة تحريك العين ظاهرة قديمة ورثتها اللهجات الحديثة عن قبائل عربية قديمة اشتهرت بها والتزمتها فى نطقها . بل نستطيع ونحن مطمئنون أن نرجح أن تلك الكلمات التى وردت فى معاجمنا محركة العين - وقيل لنا إنه يجوز فيها إسكان العين - ليست فى الحقيقة إلا نتيجة هذه الظاهرة فى عصور ما قبل الإسلام ، ثم إشتهر نطقها بالتحريك وغلب على الأصل الساكن مثل :

كَبِد . فخذ . سَبُع . ملك .

والدافع الأساسى لظاهرة التحريك هو محاولة التخلص من التقاء الساكنين عند الوقف . أما الذى قد يعين الحركة فيجعلها الضمة أو الكسرة أو الفتحة فهو أحد عاملين :

١) طبيعة الحرف المراد تحريكه .

٢) انسجام الحركة مع ما يكتنفها من حركات .

وفى معظم الحالات التى أصل الكلمة فيها سكون العين نلحظ أن اللغة العربية المشتركة قد أبقت على التسكين حتى فى حالات الوقف . ويكفى أن نستمع لبعض آيات من سورة الطارق وسورة الفجر وسورة القدر ، لندرك أن نظام الفواصل القرآنية قد حتم تسكين العين فى مثل هذه الكلمات :

« والفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذى حجر ».

ولا نعرف أن القرآن قد ترك هذا التسكين مع جوازه إلا فى بضع كلمات قديمة يبدو أنها تطورت قبل استقرار اللغة المشتركة فى جزيرة

العرب مثـــل :

رجل . سبع ، عضد . ملك . إبل . لعب . كذب .

أما تلك الكلمات السبع عشرة التى وردت فى القرآن الكريم بضمتين مع جواز تسكين عينها فهى :

أفُق . أكل . حلم . ثلث . دبر . ربع . زبر . سدس . شغل . عنق . هزؤ . أذن . نسك . ظفر . عمر . قدس . نصب .

وأغلب الظن أن نطق هذه الكلمات بضمتين نطق طارئ على البيئة الحجازية : البيئـة الأصلية للغـة العربية المشتركة . فالأصل فيها جميعا أن تكون بضم فسكون . وبقى هـذا الأصل مسموعا فى البيئة الحجازية ، ورواه عنها علماء اللغة . فمن نصوصهم قولهم : « إن توالى الثقيلين أى الضمتين أو الكسرتين سبب فى تخفيف مثل « عنق » و « إبل » بتسكين الحرف الثانى فيهما . والتخفيف فى مثل الكلمة الأولى أكثر ، وهو حجازى » .

ولكن هـذا الأصـل قد تطور فى بيئة أخرى من البيئات البدوية التى تتبع العين الفاء فى حركتها . ولعل القدماء حين قالوا إن كل هذه التفريعات لتميم قد رمزوا باسم تميم إلى القبائل البدوية التى نعرف أن التطور اللغوى فيهـا بوجه عام أسرع وأكثر . ولذا لاندهش حين نرى قبائل البدو حتى الآن تميل إلى تحريك الساكن من الكلمات الثلاثية فتقول : بَطِن تَبِن . بُرُج . بَحَر . ولقد ظهر لنا من دراسة كثير من النصوص القديمة التى نسبت إلى تميم أنهـا تمثل القبائل البدوية بوجه عام لا قبيلة تميم وحدها ، ولا سيما حين يقال هذه لتميم وتلك للحجاز .

وعلى هـذا تكون اللغة المشتركة قد قبلت هذا النطق البـدوى الأصـل فى تلك الكلمات السبـع عشرة بالذات . وإلا فكيف نعلل ورود نحو ٥٩ كلمة على وزن « فعل » بكسر فسكون فى القرآن الكريم ، ونحو ٢٣٠ كلمة على وزن « فعل » بفتح فسكون ، وقد كان من الممكن أن يرد معظم هذه الكلمات محرك العين ؟

نخلص من كل ما تقدم إلى أن اللهجات العربية القديمة قد انحدرت إليها الأسماء الثلاثية على صور ثلاث :

١) فعل بفتح فسكون .

٢) فعل بفتحتين .

٣) فعل بضم أو كسر فسكون .

وبقيت على صورها القديمة فى البيئـة الحجازية ـ مهد اللغة العربية المشتركة ـ فى غالب الأحوال . ولكنهـا بدأت تتطور فى بعض اللهجات الأخرى بتحريك العين فى عصور سبقت تكون اللغة المشتركة أو استقرارها .

ونتصور حينئذ أن تكون الصيغ الفرعية على الوجه الآتى :

١) فُعل بضم فسكون يمكن أن تتطور إلى « فُعُل » بضمتين .

٢) فِعل بكسر فسكون يمكن أن تتطور إلى « فِعِل » بكسرتين .

٣) فَعْل بفتح فسكون يمكن أن تتطور إلى « فَعِل » بفتح فكسر أو « فَعُل » بفتح فضم أو « فَعَل » بفتحتين .

وعلى هذا لا يصح أن تعد الأوزان التى على مثل « عِنَب وصُرَد » من صيغ الاسم الثلاثى ؛ فإذا ثبتت فيها كلمة أو كلمات بحثناها بحثا مستقلا واعتبرناها من غرائب اللغة .

ومن المرجح أن جميع الكلمات العربية التى اشتهرت على صيغة من تلك الصيغ الفرعية قد تكونت صورتها الجديدة فى بيئة بدوية ، ربما قبل استقرار اللغة المشتركة ؛ ثم شاع أمرها على هذه الصورة الجديدة واقتحمت حصون اللغة المشتركة .

أما لماذا اقتصرت هذه الشهرة على تلك الكلمات بالذات فأمر مرجعه إلى الظروف الخاصة بتداول كل كلمة ، تلك الظروف التى نجهلها جهلا تاما .

فكل ما كان مثل (عُنُق وإبِل وفَخِذ وعَضُد) فرعى الصيغة . أما صيغة « فَعَل » بفتحتين فقد اختلطت فيها الصورة الأصلية بالصورة الفرعية . ومن اليسير هنا التعرف على الأصالة والفرعية حين نستعين بشهرة النطق وكثرة الاستعمال ، متذكرين أن وزن (فَعْل) بفتح فسكون يمكن أن يصير فى بعض الأحيان (فَعَل) بفتحتين وليس العكس . أى لا يصح أن نتصور كلمة مثل « جَمَل » يمكن أن تتطور إلى (جَمْل) ؛ لأن الأسماء التى من هذا النوع أى بفتحتين قد كونت طائفة مميزة منذ القدم فى معظم اللغات السامية ، ولا تزال متميزة فى لهجاتنا الحديثة .

وأخيرا إذا كان لنا أن نتخذ من اللهجات الحديثة ما نستدل به على حال اللهجات القديمة فإنه من الممكن أن نرجح الرأى القائل بأن أصحاب المعاجم قد أسرفوا فى الوجوه التى ذكروها لبعض الأسماء الثلاثية ، مثل كلمة « المشط » التى رووا لها ستة وجوه . ويبدو هذا الإسراف واضحا حين نذكر ما رووه عن كلمة « أصبع » من أنها كانت تنطق على عشر صور . فللفروق بين اللهجات حدود ونظام معقول . ومع كل فنحن نحمد الله أن ما روى من هذا النوع نادر فى لغتنا العربية ؛ بل إن ما روى من الأسماء الثلاثية مخالفا للأوزان الأربعة الأصلية : فَعَل . فَعَل وفِعْل وفُعْل لا يكاد يجاوز فى كل اللغة نسبة ٧ ٪ .